

العجائبي والغرائبي في السرد الأندلسي: مقاربة نقدية

١. أناهيد عبد الأمير عباس

٢. رباح حاتم إبراهيم

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية / قسم اللغة العربية

الملخص

يتناول هذا البحث مفهوم العجيب والعجائبي في التراث العربي من خلال تتبع حضوره في القرآن الكريم والمعاجم العربية وكتب التراث الأدبي. ويسعى البحث إلى الكشف عن الدلالات اللغوية والمعجمية للمفهوم، وبيان تطوره من الاستعمال اللغوي إلى المصطلح النقدي الحديث، كما يتوقف عند موقف النقاد العرب القدماء والمحدثين من مفهومي العجيب والغريبة، مع الإشارة إلى المقاربات النقدية الحديثة للأدب العجائبي في الدراسات العربية، ولا سيما تنظير تزفتان تودوروف للأدب الفانتاستيكي. الكلمات المفتاحية : العجائبي، الغرائبي، العجيب، الأدب العربي، التراث، السرد العجائبي.

The Marvelous and the Marvelous in Andalusian Narrative: A Critical Approach

1. Anahid Abdul-Amir Abbas

2. Rabah Hatem Ibrahim

Al-Mustansiriya University / College of Education / Department of Arabic Language

Abstract

This research examines the concept of the marvelous and the marvelous in the Arab literary heritage by tracing its presence in the Holy Quran, Arabic dictionaries, and classical literary works. The research aims to uncover the linguistic and lexical connotations of the concept and demonstrate its evolution from linguistic usage to modern critical terminology. It also considers the positions of both classical and modern Arab critics on the concepts of the marvelous and the marvelous, while referencing modern critical approaches to marvelous literature in Western studies, particularly Tzvetan Todorov's theorizing on fantastic literature.

Keywords: marvelous, marvelous, marvelous, Arabic literature, heritage, marvelous narrative

المبحث الأول:

مصطلح العجائبي ومفهومه

العجيب في محكم التنزيل

وردت لفظ عجيب في القرآن الكريم و ريم ومشتقاته علم ترد لفظة العجائبي أو العجائب، كما في قوله تعالى قالت: ليا ويلتي أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب (هود، الآية ٧٣). وقال تعالى: لبل عجيبوا أن جاءهم منذر فقال الكافرون هذا شيء عجيب {ق، الآية ٢}.

تدل كلمة عجيب على الشيء غير المألوف الذي يثير الدهشة والذهول والاستغراب وخاصة عندما لا يعد الانسان تغييراً واضحاً فيعبرية شعور عجيب.

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ العجب كما في قوله تعالى: {وإن تعجب فعجب قولهم} (الرعد، الآية ٥)، وهذا يعني إن العجب مع هذا إنكار المكذبين وتكذيبهم بالبعث (السعدي، د.ت، صفحة ٤١٣)، وفي سورة الكهف قال تعالى: لثم أم حسبت إن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا {الكهف، الآية ٩}.

(أي ليس أمرهم عجباً في قدرتنا وسلطاننا، فإن خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب من آيات الله العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى، وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف، وقد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك) (الدمشقي، د.ت، صفحة ٧٣)، وقوله تعالى {قال أرايت إذا أوبنا إلى الصخرة فأني نسيت الحوت وما إنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً} (الكهف، الآية ٦٣)

(وليس المراد بهذا الآية النفي أن تكون قصة أصحاب الكهف من العجائب، بل هي من آيات الله العجيبة، وقبل هذا من قول يوشع ويقول: طفر الحوت إلى البحر فاتخذ فيه مسلكاً فعجبت من ذلك عجباً فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاة عجباً وقال ابن زيد: أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه جهراً ثم صار حياً بعد ما أكل بعضه) (البغوي، ١٤٢٠هـ، صفحة ٢٠٤).

وقد وردت لفظة (عجاب) في القرآن الكريم وهي اشتقاق من كلمة العجائبي في قوله تعالى: {لجعل الآلهة لها واحداً، إن هذا لشيء عجاب} (ص، الآية ٥)

وقد ذهب الخليل إلى أن العجاب الذي جاوز حدَّ العُجب، ويشير إلى أن العجيب والعجاب يدلان على معنى التعجب الواحد، وتدل كلمة عجاب بالتشديد على الزيادة والشدة في التعجب (الفرايدي، ١٩٨٨، صفحة ٢٣٥).

أما ابن فارس فقد ذكر أن العجب العجاب هو شيئاً واحد، وهو الأمر الذي يتعجب منه راقي المكان أكثر من العجيب هو العجاب أي عجيب والعجب والعجاب واحداً، كقولهم رجُل كريمٌ كرامٌ (القروريني، ١٩٨٦، صفحة ٦٥١).

العجيب في المورث العربي

العجيب في معاجم اللغة العربية:

يقوم مصطلح (العجيب) على كثير من المعاني منها غير المؤلف والغريب والشيء المنكر الذي لا يصدق وقوعة، وجاء في لسان العرب (عجب: العُجب والعجب: إنكار ما يرد عليك لقلّة اعتياده، وجمع العجب اعجاب والعُجب النظر إلى الشيء غير المؤلف ولا معتاد والعُجب ما خفية سببه ولم يعلم، ومنه قصة عجب والشيء معجب إذا كان حسناً جداً، والعُجب، إن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله، العُجب النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد) (منظور، ١٤١٤هـ، الصفحات ٥٨٠-٥٨٢).

وقد ذكر ابن سيده العُجب والعُجب: إنكار ما يرد عليك لقلّة اعتياده، وجمع العُجب اعجاب (سيده، ٢٠٠٠، صفحة ٢٢). وقالوا وزعم الخليل أن هناك فرقاً بين العجيب والعُجب، وأما العجيب فالعجب، وأما العُجب فالذي جاوز حد العجب، مثل الطويل والطوال، ونقول: هذا العجب العاجب، أي العجيب، والاستعجاب لشدة التعجب ومتعجب مما يرى، وشيء معجب أي: حسناً وأعجبني وأعجبْتُ به وفلان معجب بنفسه إذا دخله العجب) (الفرايدي، ١٩٨٨، صفحة ٢٢٥)

وكلمة (عجب) تدل تدل على اصلاص صحيحان، يدل (احدهما على كبر واستكبار للشيء، والآخر خلقه من خلقه الحيوان فالعجب هو أن يتكبر الانسان في نفسه تقول: هو معجباً بنفسه، وتقول: من باب للعجب: عجب يعجب اعجباً، وأمرأ عجيب، وذلك إذا استكبر واستعظم) (القروريني، ١٩٨٦، صفحة ٣٤٤) ويبدو أن لفظة ومفهوم العجب لم تتضح في المعاجم العربية فقد اكتفت بتفسير اللفظة من الناحية المعجمية.

وقد يكون مفهوم العجيب في المعاجم العربية لم تتضح صورته كاملة وإنما بتفسير اللفظة فقط؛ أما رؤية العجائبي فقد بدى أكثر نضجاً وكمالاً في كتب العجائب، وأما في الفهوم المعجمي فإنه بقي على حاله وخاصة عند المعجمين والكتاب والمفسرين؟ (الزكري، ١٩٩٢، الصفحات ١٥٧-٢٠٦)

وقد أورد هذا المعنى ابن فارس في معجمه فقال: (العُجب الأمر يتعجب منه والعجاب كذلك، والعُجاب أكثر منه) (القروريني، ١٩٨٦، صفحة ٦٥)

وأما الراغب الأصفهاني فإنه يقول: (العجب والتعجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء: العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل لا يصح على الله التعجب؛ إذ هو علام الغيوب لا تخفى عليه خافية) (الاصفهاني، د.ت، صفحة ٢٢).

وقد شرح الزبيدي التعجب فقال: (حيرة تعرض للانسان عند جهل الشيء، وقال ايضاً

التعجب: أن ترى الشيء يعجبك كأنك لم ترى مثله، وليس هو سبباً له في ذاته بل هو بحسب الاضافة إلى من يعرف السبب ومن لا يعرفه، ولهذا قال: قوم كل شيء عجب) (الزبيدي، د.ت، صفحة ٣١٩).

أما صاحب كتاب كشف اصطلاحات الفنون فيقول: (التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله، والتعجب الابهام لان من شأن الناس ان يتعجبوا مما لا يعرف سببه، والتعجب هو للمعنى الخفي والصيغة: حيث الدالة عليه تسمى تعجباً مجازاً) (التهانوي، ١٩٩٦، صفحة ٤٧٤).

أما نظرة ضياء الكعبي إلى كلمتي العجيب والغريب فهما ترتبطهما دلالات معجمية لشبكة دلالية تنثر إلى تنوع زاوية النظر إلى هذه المسألة ومن ذلك (فمنها لغة تحديد موقف الانسان من العجيب والغريب الدهشة والابتهاار والاستغراب والحيرة والخوف والعجب والالتباس والفرع ... الخ، ومنها لغة تسمى ما بعدها عجيب: الآفة المعجزة والسحر والبدعة، البرهان، والحجة... الخ ومنها ما يصف جنسه الحكائي: خرافه، الاسطورة، حكاية، اباطيل، اكاذيب طرفة، نادرة، الشاذ) (الكعبي، ٢٠٠٥، الصفحات ٣٤-٣٥).

ويبدوان المعجمين العرب القدامى لم يستثمروا هذا الثراء المعجمي فلم يحيلونا على المتشابهة المختلف واكتفوا بتجرئه المادة الدلالية وتفريقها في مواطن شتى من معاجمهم، وهذا عائد كما ترى الى غلبة المرجعية المعيارية التي تكتفي بعصور الاحتجاج للغوى دون أن يتجاوزها مما جعلهم لا يفتحون أفاقاً رحبة للعجائبي في الثقافة العربية الاسلامية (الكعبي، ٢٠٠٥، صفحة ٣٩)؛ فالثرات المعجمي يشير إلى رصيد غني وواسع للمعجم الخاص بالعجيب في العالم العربي والاسلامي.

ويبدو أن هناك الفاظاً كتب لها ان تجتمع؛ فاجتمعت وتشكلت ازواجاً وكل زوج قام على وحدة حلقة معنوية، فالغريب والعجيب من اشهر ما ساد هذه الازواج، وهما زوجين فيها اشكالا عند الفحص والنظر، زوج ذو حدين، ولا يجمع بينهما في الاصل جامع، فهما كالوجه والفا لشيء واحد؛ فالعجيب له وقع طريف مثل الحفيف، على علاقة بالظرف والحسن، ويرتبط بالموانسة والعود إلى النساء ومحادثتهن، ويدل على زهو المرأة هو المرء بنفسه، وما يكون منه (منظور، ١٤١٤هـ، الصفحات ٥٧٩-٥٨٣).

وأما الغريب، فдал على الذهاب، والتتحي عن الناس والبعد والنفى والزوال والغموض (منظور، ١٤١٤هـ، الصفحات ٦٣٧-٦٣٩)، ولما اجتمع اللفظان تقلصت المسافة بينهما، فطبع الغريب العجيب واختفى من عالمه المجهول صيغة جديدة؛ فبات نظراً إلى شيء غير مألوف ولا معتاد وانكاراً لما يرد لقلّة اعتياده، واكبار لكل نادر يظن المرء أنه لم ير مثله، فتمتلى نفسه والايمان؛ لأن الأمر النادر غير المألوف ولا المعتاد خفي السبب لا يُعلم (منظور، ١٤١٤هـ، صفحة ٥٠٨).

مفردة (عجب، العجب والتعجب إحالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء، يقال: العجب ما لا يعرف سببه، ويقال عجبٌ وجباً، ويقال للشيء الذي يتعجب منه عجبٌ، ولما لم يعهد مثله عجيبٌ، ويقال لمن يروقه نفسه: فلان معجبٌ بنفسه والعجب من كل دابة ما ضمير وركه) (الاصفهاني ١، ١٤١٢هـ، صفحة ٥٤٧) قال تعالى {أكان للناس عجباً أن أوحينا} (يونس، الآية ٢) وقال تعالى: {لعل عجبوا أن جاءهموا} (ق، آية ٢) وقال تعالى: {وأن تعجب فعجب قولهم} (الرعد، الآية ٥) (والعجب، بفتح تين روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء والله منتزه عن ذلك، إذ هو علام الغيوب لا يخفى عليه خافية. بل هو من الله تعالى أما على سبيل الغرض والتخيل، أو على معنى الاستعظام اللازم للعجب، وعجب الذنب، وهو مثل حبة خردل يكون في أصل القلب عند رأس العصص يشبه في المحل الذنب من ذوات الاربع، وهو ما يبلى، ومنه يركب الخلق يوم القيامة كما في الحديث الصحيح (الحسيني، د.ت، صفحة ١٦٨٤).

(والعجائبي، شكل من اشكال القص، تعترض فيه الشخصيات بقوانين جديده تعارض قوانين الواقع التجريبي) (علوش، ١٩٨٥، صفحة ١٤٦)

وقد تطور المدلول في معاجم اللغة الحديثة؛ فقد ورد اللفظ في معجم الوسيط (العجب) روعة تأخذ الانسان عند استعظام الشيء يقال هذا أمر عجيب وهذه قصة عجب، وعجب عاجب شديد العجب (الزياتي، د.ت، صفحة ٢).

المبحث الثاني:

الجانب التطبيقي

بعد أن سعى هذا البحث في محوره النظري إلى تأصيل المفاهيم المركزية التي يقوم عليها مصطلحي العجيب والغريب وتحديد الإطار المعرفي الذي يحكم مقارنته، لم يعد ممكناً الاكتفاء بهذا المستوى من الطرح دون اختبار فاعليته في ميدان التطبيق. فالقيمة الحقيقية لأي تصور نظري لا تتجلى إلا من خلال قدرته على الانفتاح على النصوص، واستتقاق بنياتها، والكشف عن أنساقها العميقة. ومن هذا المنطلق، ينتقل البحث في هذا المبحث إلى الجانب التطبيقي، بوصفه الفضاء الذي تتفاعل فيه المفاهيم مع الشواهد، وتُختبر فيه الأدوات النقدية ضمن سياقها الإجرائي. إذ سينم الوقوف عند نماذج نصية مختارة، بغية تفكيك بنياتها، وتتبع تجليات الظاهرة المدروسة فيها، بما يتيح الكشف عن أبعادها الجمالية والدلالية.

يقول حي بن يقظان في إحدى نصوصه (ذكر سلفنا الصالح - رضي الله عنهم - أن جزيرة من جزائر الهند التي تحت خط الاستواء ، وهي الجزيرة التي يتولد بها الإنسان، من غير أم ولا أب، وبها شجر يثمر نساء ، وهي التي ذكر المسعودي " (المسعودي، ٣٣٢ هـ ، صفحة ٨٢) أنها جوارى الواقواق لأن تلك الجزيرة أعدل بقاع الأرض هواء ، وأتمها لشروق النور الأم وإن كان ذلك على خلاف ما يراه جمهور الفلاسفة وكبار الأطباء ، فإنهم يرون أن أعدل ما في المعمورة الإقليم الرابع ؛ فإن كانوا قالوا ذلك لأنه صح عندهم أنه ليس على خط الاستواء عمارة المانع من الموانع الأرضية ، فقولهم : إن الإقليم الرابع أعدل بقاع الأرض [الباقية]، وإن كانوا إنما أرادوا بذلك أن ما على خط الاستواء شديد الحرارة ، كالذي يصرح به أكثرهم فهو خطأ يقوم البرهان على خلافه . وذلك أنه قد تبرهن في العلوم الطبيعية أنه لا سبب لتكون الحرارة إلا الحركة ، أو ملاقة الأجسام الحارة) حي بن يقظان:

يبدأ النص بعبارة "ذكر سلفنا الصالح - رضي الله عنهم - إذ نرى وفق تصور تودوروف إن هذا النص يندرج ضمن ما يسمى بالعجيب المبالغ إذ (يعثر على منبعه في الصورة البلاغية، بحيث يكون درجتها الأخيرة، كما هو شأن ثعابين وطيور ضخمة في قصص السندباد): فينزل المرء عندها من المبالغة إلى العجائبي " (تودوروف، ١٩٩٤، صفحة ٨٤) ، ويستند في هذا إلى القصص التي درسها في كتابه، وهي أن قبول العجائبي يعتمد على "درجة الثقة" في الراوي. هنا، الكاتب لا ينقل خرافة عن مجهول، بل يسندتها إلى "السلف الصالح" إذ يتم تحويل الحدث من "خيال أدبي" إلى حقيقة دينية ممتزجة مع التاريخ . هذا الإسناد يلغي التردد عند القارئ التقليدي، لأن الشك في الخبر يعني الشك في الناقل (السلف). أما المكان فهو تحت خط الاستواء: جزيرة من جزائر الهند التي تحت خط الاستواء، فالعجائبي عند تودوروف يحتاج إلى مكان غريب . خط الاستواء في الفكر الجغرافي القديم كان يمثل النهاية أو المنطقة المحرمة التي لا يصلها البشر عادة . يستخدم الكاتب الجغرافيا كغطاء لشرعنة الخارق المتمثل بالولادة دون أب حيث يكون ذلك ممكناً عند الكاتب ، الحدث الخارق هو التولد الذاتي والشجر الأنتوي هنا نصل إلى جوهر العجائبي يتولد بها الإنسان من غير أم ولا أب، وبها شجر يثمر نساء .. وعليه حسب تودوروف يصنف هذا تحت "العجائبي المطلق". نحن أمام كسر لقانون التكاثر.

و من سمات العجائبي عند تودوروف تداخل الممالك هنا يذوب الفاصل بين المملكة النباتية (الشجر) والمملكة الحيوانية/البشرية (النساء). هذا التحول ليس سحرياً بللمسة عصا، بل هو "تمو طبيعي"، مما يزيد من غرابة النص؛ فالخارق هنا يحدث ببطء وهدوء كنمو الثمرة.

كما نجد في النص صراعاً بين الأطباء والفلاسفة وهذا نعه الجزء الأهم في النص من الناحية البنيوية: "وإن كان ذلك على خلاف ما يراه جمهور الفلاسفة وكبار الأطباء، إذ يفرق تودوروف بين "العجائبي الخالص" (سحر) وبين "العجائبي المفسر". هذا النص يرفض أن يكون "خرافة".

فالكاتب يواجه الطب (العقل) بالفيزياء (البرهان الطبيعي). هو لا يقول "صدقوا لأنه معجزة"، بل يقول "صدقوا لأن الأطباء أخطأوا في تقدير حرارة خط الاستواء". كما نجده يوظف المصطلحات العلمية و استخدام كلمات مثل (البرهان، العلوم الطبيعية، الحركة، ملاقة الأجسام الحارة) هي أدوات تغليف للعجائبي. الكاتب يلبس الأسطورة ثوب المختبر الفيزيائي. ثم يبرر النص حدوث ذلك بـ "أتمها لشروق النور الأعلى عليها استعداداً". تودوروف هنا يتحدث عن "السببية العجائبية". في عالمنا، السبب هو (تلقیح)، في عالم النص، السبب هو (نور + استعداد مكان).

فكلمة الاستعداد فلسفية بامتياز (من الفلسفة الإشراقية). النص يزعم أن المادة في تلك الجزيرة لديها "قابلية" أو "استعداد" لتتحول إلى بشر بمجرد ملاسة النور لها. هذا يخرج النص من كونه "قصة خرافية" ليكون "نظرية فيزيائية بديلة". إذن النص يمارس ما يسميه تودوروف الإيهام بالواقعية هو لا يطلب منك أن تتخيل، بل يطلب منك أن تعيد النظر في علم الفيزياء وهذا النوع من العجائبي ما يمكن أن نطلق عليه العجائبي العلمي القديم. القارئ يجد نفسه محاصراً؛ فإما أن يصدق السلف والبراهيين الفيزيائية التي ساقها الكاتب، أو يصدق الأطباء الذين "ثبت خطوهم" في تفسير الحرارة.

وفي نص آخر من أدب الرحلات يقول أبو حامد الغرناطي (الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، ٥٥٧ هـ) :
(وكان يعرف الرجل بعبد الرحيم الصيني، وكان يحدث بالعجائب، فذكر أنه سافر في بحر الصين والقتهم الرياح إلى جزيرة عظيمة، فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب، فأروا فيها الحبة عظيمة أعلى من مائة ذراع لها لمعان وبريق، فتعجبوا منها . فلما دنوا منها، وإذا هي بيضة الرخ فلما دنوا منها جعلوا يضربونها بالفؤوس والخشب والحجارة حتى انشقت كأنه جبل فتعلقوا بربش جناحه فجروه، فنفض جناحه فبقيت هذه الريشة عند علماني، خرج أصلها من لحم جناحه ولم يكمل بعد خلقه . قال : فقتلوه وحملوا ما قدروا عليه من لحمه ورحلوا . وقد كان بعضهم طبخ في الجزيرة قدرا وحركوها ببعض عيدان الحطب الذي طبخوا به، وكان فيهم مشائخ . فلما أصبحوا رأوا المشائخ قد اسودت لحاهم، ولم يشيبيوا بعد ذلك اليوم من أكل من ذلك الطعام فكانوا يقولون إن ذلك العود الذي حركوا به القدر من شجرة الشباب والله أعلم.

قال : فلما طلعت الشمس رأوا الرخ قد أقبل في الهواء كالسحابة العظيمة، وفي رجليه قطعة حجر كالبيت العظيم، أكبر من السفينة، فلما جرى السفينة ألقى ذلك الحجر، وكانت السفينة مسرعة بسعة من الأثقال عليها الشراعات، فوقع الحجر في البحر وسبقت السفينة، ونجانا الله عز وجل . (الغرناطي، ٢٠٠٣، صفحة ٨٨) .

يبدأ النص بتقديم شخصية عبد الرحيم الصيني " : وكان يعرف الرجل بعبد الرحيم الصيني". يرى تودوروف أن وجود راوٍ مسمى (له اسم ولقب) يعزز من واقعية الحكاية العجائبية. نسبة الرجل إلى الصين (أقصى الأرض بالنسبة للعرب قديماً) تجعل القارئ يتوقع سماع العجائب

سلفاً. فالراوي : هو الشاهد العيان . العجائبي هنا لا يقدم كمعلومات عامة، بل كشهادة شخص عاش التجربة، مما يقلل من مسافة الشك. يقول الكاتب "فأروا فيها قبة عظيمة... فتعجبوا منها". هذه هي اللحظة المركزية عند تودوروف (لحظة التردد). الشخصيات في النص لا تعرف ما هذه القبة في البداية. ثم ينتقل بنا من الغموض إلى اليقين : بمجرد أن يقتربوا ويكتشفوا أنها "بيضة الرخ"، ينتهي التردد ويتحول النص إلى "العجائبي الصرف". القارئ هنا ينقاد وراء الشخصيات التي انتقلت من الحيرة إلى التصديق بمجرد الرؤية واللمس. ثم نجد الغرناطي يعتمد على الأرقام لترسيخ العجائبي في ذهن القارئ كما في قوله "أعلى من مائة ذراع"، "كأنه جبل"، "قطعة حجر كالبيت العظيم". وفق منهج تودوروف فإنه يشير إلى أن العجائبي غالباً ما يعتمد على تغيير "المقاييس". تحويل البيضة إلى جبل والحجر إلى بيت مما يهدف إلى خلق حالة من "الرهبه". (Awe) "هذا ليس مجرد وصف، بل هو وسيلة لتعطيل عقل القارئ عن المساءلة المنطقية من خلال صدمة الحجم. ومن أعجب التفاصيل في النص هو تعامل البشر مع البيضة": جعلوا يضربونها بالفؤوس... فقتلوه وحملوا ما قدروا عليه من لحمه. "فالمتأمل للنص يكون لديه تصور ف عادة ما يكون العجائبي مقدساً أو مخيفاً لا يُمس، لكن هنا نجد أنسنة للصراع. البشر يهاجمون الرخ الكائن الأسطوري ويأكلون لحمه . هذا التفصيل التفصيلي (الضرب بالفؤوس، حمل اللحم) يهدف إلى إيهام القارئ بأن الواقعة

مادية بحتة وليست خيالا، لدرجة أن الكائن الأسطوري أصبح طعاماً يُطبخ. ويظهر في النص حدث خارق آخر: "اسودت لحاهم ولم يشيخوا بعد ذلك اليوم". يعزو النص السبب إلى عود الحطب الذي هو من شجرة الشباب وهذا حسب تودوروف: يسمى العجائبي المفسر بالخواص، الكاتب لا يكتفي بالمعجزة، بل يضع لها أداة (العود). تحول الشيب إلى سواد وهو خرق لقانون الزمن، وهو أعلى درجات العجائبي لأنه يمس البيولوجيا البشرية مباشرة.

عندما يظهر الرخ الأم، يوصف بأنه "أقبل في الهواء كالسحابة العظيمة". وهذا يمثل صراعاً درامياً فالحجر الذي ألقاه الرخ كان "أكبر من السفينة". هنا نصل إلى قمة التشويق العجائبي.

أما قوله "ونجانا الله عز وجل". يرى تودوروف أن العجائبي في النصوص الدينية أو التراثية غالباً ما ينتهي بتدخل القوى العليا كلمة نجانا الله تغلق باب التساؤل المنطقي؛ فالله قادر على كل شيء، وبذلك يتم تمرير أسطورة الرخ عبر بوابة الإيمان بالقدرة الإلهية. يقول الكاتب "فبقيت هذه الريشة عند علماني" هذه هي "اللقية" المادية التي يحرص الرواة على ذكرها لتثبيت العجائبي. ذكر وجود أصل الريشة في مكان محدد أو عند شخص محدد يهدف إلى نقل الحكاية من فضاء قيل وقال إلى فضاء الأثر الباقي بينما كان النص الأول (الواقواق) عجائبياً "نظرياً" يحاول الإقناع بالعقل والفيزياء، فإن نص الغرناطي هو عجائبي "حسي" يحاول الإقناع بالوصف المادي (الحجم، اللون، الطعم، الأثر على اللحية). تودوروف يسمي هذا النوع بالانغماس الكامل في العجائبي، حيث تصبح الخوارق جزءاً من يوميات الرحلة

ويقول السرقسطي في مقامته الموسومة ب العنقاء (أفضينا إلى أرضي ملساء، وزملة وعساء، كالمجان أو الترس، ذات ألوان كالجادي أو الورس، فمشينا فيها مشيا، ووطعنا من مؤنوها فرداً ووشياً، فبينما نحن كذلك إذ أنسابت بنا تلك الأرض واستندار (بنا) الطول (منها) والعرض، فطوينا المزالج، ورأينا الصخاري تمشي بنا والسواجل، إلى أن رأينا البحر يسير إلينا أو يسير إليه، ويغلو علينا تارة وتغلو عليه، تلعب بنا أعرافه وأماجه، وتبعد عنا أحنأه وأزواجه، إلى أن ساخت في البحر سوحاً، وبقينا نبوح في الماء بوحاً، فسبحنا سبحاً طويلاً، واستنفدنا جلاً وحيلاً، إلى أن خرجنا إلى جزيرة عريضة، ذات مراع خصبه، وأرض أريضة، فأقمنا هناك رداً طلائح، وبقياً طوائح، لا الباب ولا أفكار، ولا عرفان ولا إنكار، لا تدري ما الأمر، ولا ما هذا العجب الأمر (ه)، إلى أن تراجعت إلينا البابتنا، وتواصلت بعد اليأس أسبابتنا، واستيقظنا من تلك الغمرات، وصحونا من تلك السكرات، فعلمنا أنه حيوان تحري أصحر، ثم أبخره، وخلق عظيم النجع، ثم رجح، أو أشمس، ثم قمس في الماء وانغمس، فبينما نحن نتردد في تلك الأرجاء، ونعتمد بحل من الرجاء، إذ أظلنا ظلة قليلة، وسحابة بليلة، لها زجل وحفيف، وخرق ورفيف، حتى وقعت وقوعاً وصفعت صفوعاً، / فإذا به طائر ينفع في الماء نفوعاً، ويدير صوتاً كالرعد ترجيعاً، ويحيل البحر من نيانه نجيعة، وجعل يخرج الماء بمقاربه ويخضض، ويزيده ويمحض، فبينما نحن كذلك قد هالنا هوله، وطالنا طوله، إذا نحن برجل مشعان الرأس، كالقوس أو الناس، قد انحى وأحدوب، وقراه، وقراه الدهر وأدب، فاستوحش منا واستنف واستغفر، وسبح الله واستغفر، وقال: أجن أم إني؟ نوع أم جنس؟ ما . إنس؟ نوع أم جنس؟ ما هذا الطيف الطارق، والسهم المارق، والأمر الخارق؟ جنس كريم، لولا الخريم، ونوع فاضل، لو لم يفاضل يفاضل، وأنس خالب، لو لم يغالب، وخلق حسن، لولا اللسن، وجلال رهوة، لولا الشهوة، وألف آلف، لولا أنه تالف، ونعم الأخلاف، لولا الخلاف، اللهم أنسني بالوحدة والاعتزال، وجنبني روائع الرجفة والزلال، اللهم إليك الانقطاع، وأنت المطاع، رضاك منائي وبك عنائي، أنسي ذكرك، وعملي شكرك، إليك ارتفعت يدي، ومنك رشيده وهادي، فتعتني فقعت، وأمرتني فأطعت، اللهم اجعلني من خير مباديك، وجنبني شر أعاديك، اللهم عليك رزقي وسنري، ولك شفعي ووثري، ها أنا عبدك الدليل، وخلقك القليل، لا طاقة إلا بك ولا حول، ولا رفد إلا منك ولا تول، متعتني بعقلي على الهرم، والبستني ثوبي فضل وكرم، يا منعم يا وهاب، ما أهدر غير سخطك ولا هاب

قال: فمالت إليه أهواؤنا، والتفت عليه أرجاؤنا، فقلنا له: «يا أيها العابد الزاهد، والوَادع الجاهد، رَحِمَ الله رَحْمَاكَ، ونُعَمَى الله نُعْمَاكَ، هل لك أن / تسمع من حديثنا طرفاً، ونهدي إليك الحسَنَاتِ طرفاً، نحن قوم عرانا كَيْتَ وكَيْتَ، ولو علمت أمرنا لرحمت وبكىت، وقال: تلك سُلُفاهُ هذا اليوم الزاخر، وافة أفلك المואخر، كم هلك من هالك، وسلت على ظهرها من سالك، سبحان من قضى لكم

بالتَّجَاة ، وَوَأَزَى بِكُمْ أَرْضَ النَّجَاةِ وَهَذَا الطَّائِرُ الَّذِي تَرَوْنَ هُوَ فَرَحُ الْعَنْقَاءِ ، لَا فُذْرَ لَهُ بِالشَّقَاءِ ، وَلَا طَرَقَتْهُ طَوَارِقُ الْعَنْقَاءِ ، الْفَيْتُهُ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ كَمَا وَفَى رَغْبُهُ (السرقسطي، ٢٠٠٦، صفحة ٣٩٩)

يبدأ النص بوصف الأرض: "أرض ملساء، ورملة وعساء، كالمجان أو الترس".

إذ يرى تودوروف أن الأدب العجائبي غالباً ما يبدأ باستعارات تتجسد فجأة. الكاتب وصف الأرض بأنها ك الترس (درع المحارب) في استدارة وصلابة. المفاجأة العجائبية تحدث عندما نكتشف أن الترس ليس مجازاً، بل هو حقيقة مادية (ظهر سلحفاة) اعتمد الكاتب على تدمير ثقة البطل في حواسه. ما تراه عيناه أرضاً هو في الحقيقة كائن هذا هو لعجائبي الغريب الذي يضع الشخصية والقارئ في حالة شك تام في ماهية المادة. يقول السرقسطي: "إذ انسبت بنا تلك الأرض واستدار بنا الطول منها والعرض.. لا تدري ما الأمر ولا ما هذا العجب الأمر". هذه الجملة هي التطبيق الحرفي لتعريف تودوروف للعجائبي. لا تدري ما الأمر هي حالة التذبذب بين تفسيرين: تفسير طبيعي: زلزال، غرق، دوار مفاجئ. أو تفسير خارق: الأرض كائن حي يتحرك.

يعلق تودوروف بأن العجائبي يحدث غالباً في منطقة رمادية بين اليقظة والنوم أو الوعي والسكر فقدان العقل هنا هو رد فعل طبيعي على انهيار قوانين المنطق".

"فعلنا أنه حيوان بحري أصحر.. ثم أبحر.. أو أشمس ثم قمس". بمجرد معرفة الحقيقة (أنها سلحفاة عظيمة)، ننقل من العجائبي الغريب (المقلق) إلى العجائبي الصرف (المقبول). يفكك تودوروف هذه الثيمة باعتبارها ذوباناً للحدود بين الجماد و الحيوان. السرقسطي يجعل الأرض (الثبات) تتحرك، والبحر (الحركة) مكاناً للاستقرار، وهذا يقلب موازين العالم لدى القارئ.

ثم ظهور الطائر لم يكن بصرياً فقط بل كان صوتياً مهيباً: لها زجل وحفيف وخرق وزفيف.. يدير صوتاً كالرعد ترجيعاً" وفق هذا النص تودوروف يؤكد أن العجائبي يرتبط غالباً بتأثير الخوف. الطائر هنا ليس طائراً عادياً، بل هو العنقاء التي تحل البحر إلى نجيع (دم) من كثرة ما تصطاد من الأسماك (النينان) لذلك إن توظيف الكاتب و استخدامه كلمات مثل زجل، خرق، زفيف يهدف لخلق حالة من الرهبة السمعية تسبق الرؤية البصرية، مما يهيئ نفسية القارئ لاستقبال الخارق.

كما إن ظهور الرجل المنحني (المشعان) يمثل صدمة أخرى: "إذا نحن برجل مشعان الرأس كالقوس أو الناس.. قد انحنى واحدودب". فهذا الرجل يعيش في فضاء عجائبي، لذا فهو يحمل صفات عجائبية. هو بشر لكنه مستوحش، لغته ليست لغة عادية بل هي لغة سجع مقدس واستغفار. المفارقة هنا: الرجل يسأل الأبطال: "أجن أم إنس؟ ونوع أم جنس؟". هنا تنعكس الآية؛ الأبطال يرون العالم عجائبياً، والرجل العجائبي يراهم هم العجيبة والخطر. تودوروف يرى أن تبادل الأدوار هذا يعزز من نسبية الواقع.

عندما يتحدث العابد، يضع الأحداث في إطارها: "تلك سلحفاة هذا اليوم الزاخر.. وهذا الطائر هو فرخ العنقاء" في المنهج البنيوي، يلعب هذا الرجل دور العليم هو الذي يفك شفرة العجائبي للأبطال (وللقارئ) فبدلاً أن يظل الحدث مخيفاً يحوله العابد إلى "سبحان من قضى لكم بالنجاة". هنا يندمج العجائبي بالدين؛ فالخوارق ليست عبثاً، بل هي تجليات للقدرة الإلهية.

وعلى مستوى اللغة فإن السرقسطي لا يصف العجائبي بل يصنعه بالكلمات. السجع المتواصل (مرح-بحر، أصحر-أبحر) يخلق إيقاعاً رتيباً يشبه السحر. تودوروف يشير إلى أن اللغة في العجائبي ليست شفافة، بل هي لغة كثيفة تلفت الانتباه لنفسها، مما يجعل القارئ يشعر أنه في عالم مصنوع من الكلمات وليس من الواقع.

الهوامش:

٢. إبراهيم مصطفى، احمدى الزياتي. (د.ت). المعجم الوسيط معجم اللغة العربية في القاهرة. دار الدعوى، ج ٢.
- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي. (٣٣٢ هـ). مروج الذهب ومعادن الجوهر.
- أبو الحسن علي بن سيده. (٢٠٠٠). المحكم والمحيط الاعظم. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، ط ١، ج ٣.
- أبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي. (٢٠٠٦). ، مقامات السرقسطي (المقامة للزومية). (حسن الراكلي، المحرر)
- أبو القاسم الحسيني الاصفهاني. (١٤١٢ هـ). الفردات في غريب القرآن، تحقيق عدنان الداودي. بيروت-لبنان: دار القلم، ج ١، ط ١.
- أبو حامد الغرناطي. (٢٠٠٣). المخطوط المتعلق برحلة الصين والرخ.
- أبو حامد الغرناطي. (٥٥٧ هـ). تحفة الألباب ونخبة الإعجاب.
- أبو محمد الحسين البغوي. (١٤٢٠ هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن -تفسير البغوي. بيروت-لبنان: دار احياء التراث العربي، ط ١.
- أحمد بن فارس القزويني. (١٩٨٦). مجمل اللغة لأبن فارس. بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة، ط ١.
- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. (د.ت). تفسير القرآن العظيم. بيروت-لبنان: دار الفكر.
- الراغب الاصفهاني. (د.ت). مفردات في غريب القرآن. بيروت-لبنان: دار المعرفة، .
- الرعد. (الآية ٥).
- الرعد. (الآية ٥).
- القرآن الكريم، سورة الكهف. (الآية ٦٣).
- الكهف. (الآية ٩).
- أيوب بن موسى الحسيني. (د.ت). الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية.
- تزيثان تودوروف. (١٩٩٤). مدخل إلى الأدب العجائبي. (الصادق بوعلام، المترجمون) دار الكلام، الدار البيضاء.
- حمادي الزنكري. (١٩٩٢). البعجب والغريب في التراث المعجمي الدلالات والابعدالبعجب والغريب في التراث المعجمي الدلالات والابعد. تونس: حوليات الجامعة التونسية، لعدد ٣٣.
- خليل بن أحمد الفراهيدي. (١٩٨٨). كتاب العين، تحقيق المحمدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. بيروت-لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج ١، ط ١.
- سعيد علوش. (١٩٨٥). معجم المصطلحات الادبية المعاصرة. بيروت-لبنان: دار الكتب.
- ص. (الآية ٥).
- ضياء الكعبي. (٢٠٠٥). السرد العربي القديم الانساق الثقافية واشكاليات التأويل. المؤسسة العربية للنشر، ط ١.
- عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي. (د.ت). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. القاهرة-مصر.
- ق. (الآية ٢).
- ق. (آية ٢).
- محمد بن عبدالرزاق الزبيدي. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهواية.
- محمد بن علي التهانوي. (١٩٩٦). موسوعة اصلاحات الفنون والعلوم. بيروت-لبنان: دار ناشرون، ج ١، ط ١.
- محمد بن مكرم بن علي بن منظور. (١٤١٤ هـ). لسان العرب. بيروت-لبنان: دار صادر، ج ١، ط ٣.
- هود. (الآية ٧٣).
- يونس. (الآية ٢).

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

- أبراهيم مصطفى، احمدى الزياتي. (د.ت). المعجم الوسيط معجم اللغة العربية في القاهرة. دار الدعوى، ج ٢.
- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي. (٣٣٢ هـ). مروج الذهب ومعادن الجوهر .
- أبو الحسن علي بن سيده. (٢٠٠٠). المحكم والمحيط الاعظم . بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، ط ١، ج ٣.
- أبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي. (٢٠٠٦). ، ، مقامات السرقسطي (المقامة للزومية). (حسن الوراقلي، المحرر)
- أبو القاسم الحسيني الاصفهاني. (١٤١٢هـ). الفدرات في غريب القرآن، تحقيق عدنان الداودي. بيروت-لبنان: دار القلم، ج ١، ط ١.
- أبو حامد الغرناطي. (٢٠٠٣). المخطوط المتعلق برحلة الصين والرخ.
- أبو حامد الغرناطي. (٥٥٧ هـ). تحفة الألباب ونخبة الإعجاب.
- أبو محمد الحسين البغوي. (١٤٢٠هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن -تفسير البغوي. بيروت-لبنان: دار احياء التراث العربي، ط ١.
- أحمد بن فارس القزويني. (١٩٨٦). مجمل اللغة لأبن فارس . بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة، ط ١.
- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. (د.ت). تفسير القرآن العظيم. بيروت-لبنان: دار الفكر .
- الراغب الاصفهاني. (د.ت). مفردات في غريب القرآن . بيروت-لبنان: دار المعرفة .
- ايوب بن موسى الحسيني. (د.ت). الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية.
- تزيقاتان تودوروف. (١٩٩٤). مدخل إلى الأدب العجائبي. (الصادق بوعلام، المترجمون) دار الكلام، الدار البيضاء.
- حمادي الزنكري. (١٩٩٢). البعجيب والغريب في التراث المعجمي الدلالات والابعدالبعجيب والغريب في التراث المعجمي الدلالات والابعد.
- والابعد. تونس: حويليات الجامعة التونسية، لعدد ٣٣.
- خليل بن أحمد الفراهيدي. (١٩٨٨). كتاب العين، تحقيق المحمدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. بيروت-لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج ١، ط ١.
- سعيد علوش. (١٩٨٥). معجم المصطلحات الادبية المعاصرة. بيروت-لبنان: دار الكتب.
- ضياء الكعبي. (٢٠٠٥). السرد العربي القديم الانساق الثقافية واشكاليات التأويل. المؤسسة العربية للنشر، ط ١.
- عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي. (د.ت). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. القاهرة-مصر.
- محمد بن عبدالرزاق الزبيدي. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهواية .
- محمد بن علي التهانوي. (١٩٩٦). موسوعة اصلاحات الفنون والعلوم. بيروت-لبنان: دار ناشرون، ج ١، ط ١.
- محمد بن مكرم بن علي بن منظور. (١٤١٤هـ). لسان العرب. بيروت-لبنان: دار صادر، ج ١، ط ٣.

Sources and References:

- The Holy Qur'an
- Abd al-Rahman ibn Nasir ibn Abdullah al-Sa'di. (n.d.). Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan. Cairo, Egypt.
- Abu Al-Hasan Ali ibn Al-Husayn Al-Mas'udi. (d. 332 AH). Muruj Al-Dhahab wa Ma'adin Al-Jawhar.
- Abu Al-Hasan Ali ibn Sidah. (2000). Al-Muhkam wa Al-Muhit Al-A'zam. Beirut, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st ed., Vol. 3.
- Abu Al-Qasim Al-Husayni Al-Isfahani. (d. 1412 AH). Al-Fardat fi Gharib Al-Qur'an, edited by Adnan Al-Dawudi. Beirut, Lebanon: Dar Al-Qalam, Vol. 1, 1st ed.
- Abu Al-Tahir Muhammad ibn Yusuf Al-Sarqusti. (2006). Maqamat Al-Sarqusti (Al-Maqama Al-Luzumiyyah). (Hasan Al-Warrakli, ed.)
- Abu Hamid Al-Garnati. (2003). The Manuscript Related to the Journey to China and the Rukh.
- Abu Hamid Al-Garnati. (d. 557 AH). Tuhfat al-Albab wa Nukhbat al-I'jab.

- Abu Muhammad al-Husayn al-Baghawi. (1420 AH). Ma'alim al-Tanzil fi Tafsir al-Qur'an - Tafsir al-Baghawi. Beirut, Lebanon: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, 1st ed.
- Ahmad ibn Faris al-Qazurini. (1986). Mujmal al-Lughah li-Ibn Faris. Beirut, Lebanon: Mu'assasat al-Risalah, 1st ed.
- Al-Raghib al-Isfahani. (n.d.). Mufradat fi Gharib al-Qur'an. Beirut, Lebanon: Dar al-Ma'rifah.
- Ayyub ibn Musa al-Husayni. (n.d.). Al-Kulliyat, a dictionary of terms and linguistic distinctions.
- Diaa al-Ka'bi. (2005). Ancient Arabic Narrative: Cultural Patterns and Problems of Interpretation. Arab Foundation for Publishing, 1st ed.
- Hammadi al-Zankari. (1992). The Marvelous and the Strange in Lexicographical Heritage: Meanings and Dimensions. Tunis: Annals of the Tunisian University, No. 33.
- Ibrahim Mustafa, Ahmadi Al-Zayyati. (n.d.). Al-Mu'jam Al-Wasit - A Dictionary of the Arabic Language in Cairo. Dar Al-Da'wa, Vol. 2.
- Isma'il ibn 'Umar ibn Kathir al-Dimashqi. (n.d.). Tafsir al-Qur'an al-'Azim. Beirut, Lebanon: Dar al-Fikr.
- Khalil ibn Ahmad al-Farahidi. (1988). Kitab al-'Ayn, edited by al-Muhammadi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samarrai. Beirut, Lebanon: Al-A'lami Foundation for Publications, Vol. 1, 1st ed.
- Muhammad ibn Abd al-Razzaq al-Zubaidi. (n.d.). Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus, edited by a group of scholars. Dar al-Hawaiah.
- Muhammad ibn Ali al-Tahanawi. (1996). Encyclopedia of Reforms in the Arts and Sciences. Beirut, Lebanon: Dar Nashirun, Vol. 1, 1st ed.
- Muhammad ibn Mukarram ibn Ali ibn Manzur. (1414 AH). Lisan al-Arab. Beirut, Lebanon: Dar Sader, Vol. 1, 3rd ed.
- Sa'id Alloush. (1985). Dictionary of Contemporary Literary Terms. Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub.
- Tzvetan Todorov. (1994). Madkhal ila al-Adab al-'Ajabi. (Al-Siddiq Bu'alam, translators) Dar al-Kalam, Casablanca.